من هدي الزهراء عليها السلام

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٠٢

من هدي الزهراء عليها السلام

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ

سورة الكوثر: الآية ١

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا بهدايته ومنّ علينا بالإيمان بوحدانيته، وأنعم علينا بخاصته وخالصته، خاتم أنبيائه وسيد بريّته محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته وعترته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، لا سيما أولهم أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم القائم بالأمر وناشر راية العدل الحجة بن الحسن العسكري أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(١)

إن أي مجتمع بشري يتكون من ذكر وأنثى، وقد بيّن الإسلام عندما سطع نوره على الأمم مكانة المرأة ودورها في بناء المجتمع، وأن المجتمعات لا تنمو من دون المرأة فهي النماء والعطاء، خُلقت لتشارك الرجل في

(١) - الأحزاب/ آية ١٣.

جملة من الأمور ورُبّ امرأة واحدة أفضل عند الله تعالى من آلاف الرجال لاعتصامها بحبل الله واعتصامهم بحبل الشيطان.

وقد صرح القرآن الكريم في تكريم المرأة فضرب بها المثل الأعلى للإيمان كما جاء في مدح امرأة فرعون[1]، التي هجرت زينة الحياة الدنيا (زينة المال والسلطة) في سبيل إقامة الحق في المجتمع المظلوم والدعوة إلى الله تعالى، فعرّضت نفسها إلى أقسى أنواع العذاب، إذ عذبها زوجها (فرعون) بتثبيتها على الأرض بمسامير في يديها ورجليها فتوجهت إلى الله تعالى وأنابت إليه، فجعلها الله تعالى مثلاً يضرب للذين آمنوا كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[2]

وهكذا حال مريم ابنة عمران عليها السلام التي جعلها الله تعالى وابنها آية للعالمين ، قال تعالى:

(١) - آسية بن مزاحم.
(٢) - التحريم/ آية١١.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]

كما أن الله تعالى فرض للمرأة المكانة السامية لما لها من دور في دعم مسيرة الإسلام بإقامة حق ودفع باطل وإسكات فم متجرئ أو إنصاف مظلوم وردع ظالم، لهو خير من مواقف الرجال الذين لم يجرؤا على النبس بكلمة حق، ونكولهم عن نصرة الحق وأهله متوهمون الضرر، فأين رجال الكوفة من شجاعة طوعة[2]، التي نصرت وآوت ووقفت ذلك الموقف الذي خلده التاريخ بخلود ثورة الإمام الحسين عليه السلام وكذلك المواقف العظيمة التي سجلتها أخواتها على صفحات التأريخ المشرف لواقعة كربلاء[3]، فيالهن من عظيمات، رسمن المواقف التي تستحق الخلود وتخلد معها، تعطرت صفحات التأريخ بذكرهن ومجدهن.. وعند ذكر الصالحات وصاحبات المواقف المجيدة والمشرّفة الخالدة لابد لنا أن ننحني أمام تلك الشخصية التي مزقت الصبر بصبرها ونظرت إلى عاقبة الأمور بثاقب

(١) - سورة الأنبياء/ ٩١

(٢) - طوعة: امرأة كوفية أم ولد كانت للأشعث بن قيس فاعتقها وتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له ولدا سماه (بلال) وبلال هذا هو الذي أفشى سر مسلم بن عقيل عليه السلام عند لجوئه وإقامته في دار طوعة ليلة استشهاده.

(٣) - أمثال (أم وهب، دلهم ، النوار، الرباب ، آمنة زوجة عمر بن الحمق الخزاعي وغيرهن)

بصيرتها قدمت الغالي لأجل إرســـاء عقيدتها بصدق أقوالها، تجسد الطور الإيماني والصفات الراقية في شخصها الكريم، إنها المرأة، إنها الزوجة، إنها الأم، إنها أم أبيها، إنها سيدتنا ومولاتنا السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، بضعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، إنها القدوة والأسوة التي يجب الاقتداء والتأسي بها طلباً لرجاء الله تعالى في التزلّف ونيل رضاه.

وليكن بحثنا المتواضع والبسيط هذا عن سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين التي قدمت كل ما تستطيع أن تقدمه في سبيل الإسلام وأهله، وهـــي تمارس دور البنت البـــارة، والزوجة الصالحة المطيعـــة، والأم المربية البديعة، إنها المرأة بكل معانيها وأوصافها الكمالية.

فعذراً سيدتي لا تسع هذه الصفحات والسطور لفضيلة قد تذكر لك، فجزاك الله خيراً وحشرنا بشفاعتك في رحال محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله..

دور المرأة ونشاطها الاجتماعي والسياسي

لعبت المرأة دوراً كبيرا في النشاط الاجتماعي والسياسي منذ قديم الأزمنة فكان لبعض النساء حضوراً مميزا وقوياً، وجاء القران الكريم والسنة النبوية يوضحان محاور عدة مارستها المرأة وأعطت صوراً واضحة للصالح والطالح من المواقف والأدوار التي مارستها المرأة بشكل عام في المجتمعات البشرية منها:

١- صورة في محور قوة الشخصية والعقلية التي تتمتع بها المرأة والتي يمكن من خلالها أن تكون في موضع المسؤولية الأولى في إدارة أمور مملكة كبيرة، سياسيا، وتتحمل المسؤولية الكاملة في القيادة العليا، وتمثلت هذه الصورة في بلقيس ملكة سبأ، التي كانت تتمتع بذكاء وعقلية رائعة تمكنت بدبلوماسية أن تقود المجتمع السبئي الذي لا يخلو من كبار الرجال في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها... فصوّر القرآن الكريم حالة بلقيس وهي تتلقى كتاب نبي الله سليمان عليه السلام ،قال تعالى:

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ [1].

(١) - سورة النمل / الآيات ٢٩، ٣٠، ٣١

فحال تلقيها الكتاب،تعقد اجتماعا طارئا ومهما تطرح فيه أمرا خطيرا يخص دولتهم و يهدد انهيار حكومتهم، فتتحدث مع مجلسها بصورة حضارية متطورة، مبتعدة عن الاستبداد في الرأي والفردية والأنوية، قال تعالى:

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (١)

ثم يقرر رجال مجلسها أن يكون الأمر لها، لأنها كانت تتمتع بحصافة وفطنة وذكاء عالي يؤهلها أن تضع الأمور نصابها ،فقالوا:

قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٢)

فتتصرف بثقة عالية، فترسل هدية إلى صاحب الرسالة، وتنتظر ماذا سيكون الرد، وبالتالي تعرف من هو صاحب الكتاب ومن ثم تقوم بتحليل المواقف والأمور التي عرفتها من الرسل الذين أرسلتهم إلى نبي الله سليمان عليه السلام ثم تقرر أن تحافظ على مملكتها وشعبها من الهلاك، فتقرر الاستجابة إلى أمر سليمان عليه السلام، وعندما تلتقي بسليمان عليه السلام تسلم مع سليمان عليه السلام لرب العالمين.

(١) -نفس المصدر /الآية ٣٢
(٢) - نفس المصدر / الآية ٣٣

٢- دور المرأة الحضاري في بناء المجتمع السليم متبنية بناء الأسرة الإيمانية وداعمة لمسيرة الحق والرشاد، وصورتها آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، تترك كل شئ من زخارف الدنيا وأطيافها (القصور، المجوهرات، الخدم وغير ذلك) وتتحمل الحراب والمسامير والجلد والصلب وغيره من أنواع العذاب، مقابل أن لا تُسلب عقيدتها التي ثبتت عليها، فتمسكت بحقائق الإيمان وتوجهت إلى الله تعالى بكل ما لديها من قوة، طالبة من الله تعالى أن ينجيها من القوم الظالمين ويبني لها بيتا في الجنة في مقعد صدق، قال تعالى:

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١)

إن ثبات آسية كان داعما لنبي الله موسى عليه السلام و انتصارا لمبادئ الحق والحرية و المساواة التي جاء بها نبي الله موسى عليه السلام، ولم تكن امرأة فرعون هي الوحيدة في ساحة المعارضة بل كان هناك مؤمن آل فرعون إلا أنه كان يكتم إيمانه، فصدعت آسية عليها السلام بصوتها.

فكان مثل آسية الأسوة والقدوة في الجهاد والنضال ومنها نتعلم كيف

(١) - سورة التحريم / آية ١١

نموت أحرارا من أجل العقيدة التي نتبناها أو من أجل فكرة نتبناها توافق الدور الحضاري للإسلام ومنها حمل مشعل الهداية للعالم أجمع.

٣- دور المرأة المسلمة في بناء المجتمع المسلم والذي بدأ بأم المؤمنين خديجة عليها السلام و أسماء بنت عميس و نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو بن عدي وغيرهن كثير من اللواتي ضحين بالغالي والنفيس من أجل بناء المجتمع السليم وفق إرادة الله عز وجل وامتثالا لأوامره سبحانه وتعالى، فقد تركن البيوت والأموال ليهاجرن متغربات، يعضدن أزواجهن أو آبائهن أو إخوانهن غير مباليات، متمسكات بما لديهن من إيمان بالله تعالى لنصرة الحق، فكان لهن الحضور المتميز في وضع اللبنة الصحيحة للبناء الصحيح في المجتمع الإسلامي الإنساني المستمد خطوطه من الكتاب العزيز وبإشراف مَن بعثه الله تعالى ليتمّم مكارم الأخلاق.

٤- صور للدور السلبي الذي مارسته النساء في المجتمعات تأييدا لانتشار الفاحشة والرذيلة في المجتمع وبالتالي تمزيقه وإغراقه، ومن ذلك مواقف زوجتي نبي الله نوح عليه السلام ونبي الله لوط عليه السلام، اللتان وقفتا ضد المشاريع الإلهية التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام، في محاولة لتعطيل الدور الإصلاحي والتربوي للمجتمعات.

الدور الرائد للزهراء عليها السلام في تبني المشروع الإصلاحي

على الرغم من قصر عمر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وقصر مدة بقائها بعد أبيها إلا أنها استحقت أن تترأس الدور الإصلاحي على الصعيدين (السياسي والاجتماعي) وأن تكون القدوة والأسوة لكل مسلم ومسلمة بل لكل رجل وامرأة، وذلك من خلال ما تميزت به الزهراء عليها السلام من وجهين:

الأول: أنها بضعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الذي أرسل رحمة للعالمين[1]، وإنها برزخ بين النبوة والإمامة وإنها الشاهدة على صدق النبوة في آية المباهلة وكذلك إنها أول مصاديق القربى في آية القربى، وهي مثال للعصمة وبقية النبوة، الحوراء الإنسية، فاطمة الصديقة، ريحانة أبيها الصادق الأمين.

الثاني: إن الزهراء عليها السلام نشأت في ظل الرسالة الخاتمة، وبيت الوحي بإشراف وقيمومة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، ثم رعاية سيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبذلك نالت الكمال وإنها بلغت أعلى مراتب الرقي حتى أصبحت سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين والذي

(١) - وأنها بنت السيدة الأولى في المجتمع المسلم خديجة بنت خويلد عليها السلام التي احتضنت وآوت وبذلت لأجل الإسلام وأهله، ولأجل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، لأجل أن ترتفع راية الإسلام التي بها تصان الأمم وتسمو نحو مدارج الكمال والسعادة.

يمكنها أن تشخص الانحراف وتصحيح المسار، بل أنها حجة على الحجج المعصومين كما جاء في أحاديث الأئمة عليهم السلام: (نحن حجج الله عليكم وفاطمة حجة علينا)[1].

ونحن بعد هذا الكلام نريد أن نقول إن الزهراء عليها السلام حين تصدت بطرح مشروعها الإصلاحي الذي لم يختلف عن أي مشروع طرحه الأنبياء والمرسلين عليهم السلام يهدف إلى قيادة المجتمعات نحو ربى الفضيلة، إنها أهلا لذلك المشروع وذلك واضح من خلال خطبتها في المسجد النبوي، والتي تسمى بالخطبة الفدكية[2]، حيث وجهت الأمة نحو الطرق الآمنة التي تُطلب لغرض النجاة ولتدفع بالأمة إلى الأمام، وتهدف إلى تقويم الأفراد والأسر والمجتمعات وبالتالي خلق المجتمع السليم والصحيح الذي يصعب اختراقه من قبل الجاهلين وأعداء الله تعالى وأوليائه، فأهدرت كلماتها وكأنها تفرغ عن لسان أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله بل حتى هيئتها ومشيتها كأنه هو صلى الله عليه وآله، ولعل من ينقل تلك الخطبة التي تعد بحد ذاتها مشروع إصلاحي

(١) - الانتصار / العاملي / ج٧ص٣٩٩

(٢) - تجدر الإشارة إلى إن هذه الخطبة سميت بالفدكية نسبة إلى فدك التي نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الزهراء عليها السلام واستثمرتها في حياته صلى الله عليه وآله، ثم أن القوم منعوها حقها من فدك وصادروها معتذرين بأعذار عدة، وعلى كل حال فقد سميت الخطبة بالفدكية ولم تذكر سيدتنا ومولاتنا فيها لفظ فدك.

شامل لجميع مناحي الحياة، يصور هيئتها ومشيتها ودخولها المسجد من البـــاب الرئيـــس دون بابها الذي بين دارها عليها السلام والمســـجد فيذكر أنها (لاثت خمارها واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تجر أدرعها، وتطأ ذيولها، لا تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله)[1] ومن هذا نستشف الأمور التالية:

١- إن أول فعلها وقولها هي المحافظة على الحجاب وصيانته، لأنه رمز عفة المرأة وعنوان قيمتها الحقيقية.

٢- كأنها أرادت أن تقول بلا كلام للقوم أن للمرأة دور مهم وفاعل في المجتمع المســـلم، وإياكم والعودة إلى أحكام الجاهلية التي تقتل كل القيم الإنسانية وهذا يعبر عنه فعلها بالخروج في لمة من حفدتها وعدد من نساء المهاجريـــن والأنصار، ولتضع الجميع أمام المســـؤولية الكبرى في المحافظة على الجهود التي بذلها رسول الله صلى الله عليه وآله وأكد على التزامها والعمل بها، فإنها أساس الصلاح والفلاح.

٣- أما مشيتها فإن من رآها أعيدت له الذاكرة صورة المعلم الأول الذي أنقذهم من الذل والهوان ومعصية الرحمن وســـار بهم نحو الهدى ومكارم الأخلاق، ولذا لما أتت أنّ لها القوم وأجهشوا بالبكاء، مسترجعين بذلك

(١) - الانتصار / العاملي / ج٧ص٣٦٧

تلك الصور التي تركها رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم.

٤- دخول سيدتنا ومولاتنا للمسجد النبوي من بابه الرئيس دون بابها المفتوح على المسجد مع النساء كان يعبر عن إعلان المعارضة الرسمية ضد الحاكم وحاشيته، وإيصال صوتها (صوت المعارضة) إلى الناس، وتحشيدهم للانضمام للمعارضة، فقالت كلماتها الخالدة في حرب على الباطل وأهله.

أهداف الخطبة

كان للزهراء عليها السلام أهداف توجيهية تنبيهيه تطلبها في خطبتها، فسعت السيدة الزهراء عليها السلام إلى تنبيه الناس إلى ما يحدث في الأمة من أمور ما أنزل الله بها من سلطان.. تمزق المجتمع وتعيده إلى ما كان عليه قبل الإسلام، فتصدّت لتنبيه الناس من غفلة الجاهلين الذين لا يعلمون ما يدور حولهم، وفي الوقت نفسه.. إرشادهم إلى الطريق الصحيح والسليم الذي يؤدي بهم إلى نيل رضا الله تعالى والعيش في حياة كريمة، ومن هذه الأهداف ما يلي:

١- تعيين الخليفة بطريقة متمردة على النص الإلهي والنبوي.

٢- تنبيه الأمة إلى خطورة انحراف وضياع الرسالة.

٣- إعطـــاء الصورة الحقيقية لنظام الحكم بعد قراءتها للواقع والمشـــهد السياسي والاجتماعي.

٤- استشراف المســـتقبل وما ينتظر الأمة من إخطار ومزالق ومهاوي تؤدي إلى انحطاط الأمة وتأخرها.

٥- أعطت شرعية المقاومة والتصدي للانحراف والابتعاد عن الجادة.

٦- حماية مقام الإمامة من خطر المؤامرة، فكان موقفها التظلم للإمام علي عليه السلام وترك ظلامتها وذلك لعظيم مقام الإمامة وأهميتها.

قبس من الخطبة الفدكية

لقد وضعت السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها معاني الثورة الإصلاحية الاجتماعية والسياسية في ألفاظ رشيقة وبراعة في تصوير الأحداث وتقييم الأوضاع التي مرت بها الأمة تصويرا دقيقا، وببراعة منقطعة النظير وضعت الحلول المناسبة لجميع الانحرافات التي ابتليت بها الأمة، فبدأت كلامها بالحمد والثناء على صاحب النعم مستحق الشكر والامتنان على إسباغ النعم و تذكير الناس بالتوحيد وقدرة الباري عز وجل بصيغة الدعاء وبيان ثواب الطاعة وعقاب المعصية، وتشهد لأبيها بالنبوة وأن الله اختاره واصطفاه قبل أن يبعثه إلى الناس كافة، وإن بعثه صلى الله عليه وآله إتماما لأمره وختاما لوحيه ورسالته، وتعرضت عليها السلام إلى صفات النبي صلى الله عليه وآله ومفارقته الدنيا راغبا، ثم تذكّر الجالسين والسامعين في ذلك المجلس – وتذكّر الأجيال أيضا وإلى يومنا هذا– بأنهم عباد الله مأمورون بالالتزام بأوامره والانتهاء بنواهيه، ومن أوامر الله تعالى التمسك بالثقلين (الكتاب العزيز وأهل البيت عليهم السلام)، ثم تبيّن الشرعة التي جاء بها سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، موضحة بعض فقراتها، ثم بعد ذلك تعرف الناس من هي، وابنة مَن هي، فقالت عليها السلام: (اعلموا أني فاطمة) تعرف نفسها للحاضر والغائب أنها فاطمة.. فتقطع أي محاولة تشكك بشخصيتها، فتكون حجة على

من حضر في المسجد أو كان غائبا من أهل المدينة أو سائر البلدان، من ذلك الجيل أو الأجيال اللاحقة، وتقول وأبي محمد صلى الله عليه وآله[1]، ثم تشير إلى عصمتها بقولها (ولا أقول ما أقول غلطا ولا أفعل ما أفعل شططا) وكأنها (صلوات الله عليها) أرادت أن تقول إني معصومة وإني أقول قولي هذا لأهميته في الحاضر والمستقبل فتمسكوا بما أقول فإن فيه النجاة، ثم عادت عليها السلام في كلامها لتعطي صورا أخرى لنبي الرحمة صلى الله عليه وآله وإنقاذه للأمة من الهلكة، ثم تختم كلامها بتحذير القوم من الابتعاد عن جادة الصواب وضرورة التمسك بما جاء به نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، وأن لا يقعوا في الانحراف وينتموا إلى حزب الشيطان ملبين دعوة الضالين المنحرفين، ونحن راعينا الاختصار بتقديم هذا البحث، فالتمسنا جملتين من خطبتها، والتي تقول فيها: (طاعتُنا نظاماً للمِلّة، وإمامتُنا أماناً للفُرقة) جاءت الجملتان موافقان للنص القرآني الذي يضع طاعة أهل البيت عليهم السلام والمتمثلة بسيد الأوصياء علي بن أبي طالب أولا ثم تنحدر إلى ولديه الحسن والحسين ومن ثم التسعة من أولاد الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين) في مقدمة الأمة بل على رأسها ويعطيها واجب قيادة الأمة، قال تعالى:

(١) - خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أخذ بيد فاطمة عليها السلام وقال: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها هي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي الذي بين جنبيّ، فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله - جل وعلا/ انظر المحتضر/حسن بن سليمان الحلي / ص ٢٣٤.

﴿أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١)

وقوله تعالى:

﴿وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(٢)

وقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾(٣)

وسورة هل أتى وغيرها من السور والآيات الدالة على إمامتهم أو أفضليتهم على العالمين، وبيان ذلك واضحا في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني لكم فرط وإنكم واردون عليّ الحوض- فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، قيل وما الثقلان يا رسول الله، قال:الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله – وطرفه بأيديكم فتمسكوا به لن تزالوا ولن تضلوا – والأصغر عترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض – وسألت لهما ذاك ربي

(١) - النساء/ ٥٩
(٢) - التوبة / ١١٩
(٣) - المائدة / ٥٥

فلا تقدموهما فتهلكوا – ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم)[1]،وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (انظروا أهل بيت نبيّكم، فألزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى، فان لبدوا فالبدوا، وان نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا)[2]

وقال عليه السلام أيضا: (لا يُقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمّة أحد ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة)[3]، ومن هنا يتحدد الإمام الذي يقود الأمة، ولذا كان مراد الزهراء عليها السلام أن تنتبه الأمة لهذا المقام وترشدهم إلى القائد الذي نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الخليفة والإمام الذي يدفع بالأمة نحو الصلاح والفلاح وتعمير الدنيا والآخرة، وأن هذا القائد هو المسؤول عن إعداد النظام وإقامته وإمضاء الحدود وحفظ الحقوق، ودفع ما يعوق الأمة ويعرقل مسيرتها، وإذا كانت الأمة قد حفظت نظامها بطاعة الله تعالى والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، فسيبقى ذلك النظام فاعلاً إذا طاع المجتمع من يخلف النبي صلى الله عليه وآله وقد عيّن ونص عليه في أكثر من مناسبة وأقربها يوم

(١) - بحار الأنوار/ المجلسي/ ج٢٣/ ص١٥٢.
(٢) - انظر نهج البلاغة / خطب الإمام علي عليه السلام / ج١ص١٨٩
(٣) - نفس المصدر / ج١ص٣٠

أمس عند غدير خم، والسيدة الزهراء عليها السلام هنا تذكّر المجتمع أن طاعة أهل البيت عليهم السلام نظاما للأمة فضلا عن الفوز بالآخرة ونعيمها مصداقا لقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(١)

أي أن النظام الذي أعده رسول الله صلى الله عليه وآله وأقامه في المجتمع الذي تسوده العصبية المقيتة قضى على أغصانها بعد أن اجتث جذورها من أعماق المجتمع، وقد صرحت السيدة المعظمة عليها السلام في خطبتها الثانية مع جمع الأنصار والمهاجرين(٢) في طاعة المنصوص، في قوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(٣)

(١) - سورة الأحزاب / ٧١
(٢) انظر، فدك في التأريخ/ السيد محمد باقر الصدر/ ص٦٦.
(٣) - سورة يونس / ٣٥

صفات الوالي

ثم إن السيدة الزهراء عليها السلام كأنها أرادت أن تذكّر الناس أن الولاية من الأركان التي قام عليها الإسلام، وإن الإسلام بني على خمسة أشياء أهمها الولاية[1] وحتى يكون الوالي أو الحاكم شرعيا ومفوضا من قبل الله تعالى، يجب أن يتصف بصفات تميزه عن غيره، وذلك لأنها الدليل على كل الأركان التي بني عليها الإسلام، ومن تلك الصفات:

١- العلم، فيجب أن يكون الحاكم عالما فقيهاً ، أعلم الناس بالحلال والحرام وجميع أحكامهما، فإن لم يكن عالما أشكلت عليه الأمور، فيضع الأشياء خلاف الواقع، وبذلك تقلب الفرائض والسنن، فيحل ما حرم الله تعالى، ويحرم ما أحل الله تعالى، فيضل ويضل، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كلام طويل: (... أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه وضروب أحكامه وأمره ونهيه، وجميع ما يحتاج إليه الناس)[2].

(١) قال الإمام الباقر عليه السلام عند الإجابة على سؤال زرارة: (بني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية قال زرارة فقلت وأي شيء من ذلك أفضل قال الولاية أفضل لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن)/القيادة في الإسلام / محمد الريشهري / ص١٨١.
(٢) انظر ميزان الحكمة / محمد الريشهري / ج١ص١٢٢.

٢- العدل، و أن يصف الحاكم بالعدل، لأن العدل أساس الملك، وبه توضع الأشياء محلها ونصابها، فإذا فسد الحاكم فسد كل شئ، وضاعت كل القيم، ومن ملازمات العدل الشجاعة، فيجب أن يكون الحاكم أشجع الناس، لأن في انهزامه وتراجعه انهزام وتراجع المسلمين.

٣- حسن التدبير في جميع الأمور (الاجتماعية و السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها)، قال الإمام الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على مَن يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم، وفي رواية أخرى: حتى يكون للرعية كالأب الرحيم)[1].

(١) شرح أصول الكافي / مولى محمد صالح المازندراني / ج٧ ص٣٣.

إمامتنا أمانا للفرقة

الجملة التي أردفت جملة الطاعة، جملة الأمان من التفرقة، فقالت عليها السلام: (وإمامتنا أمانا من الفرقة) أي أنه إذا اجتمعت الأمة على من نصبه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، لا تتفرق ولا تتفرع إلى مذاهب وفرق، لأنه لا يأتي بجديد يخالف ما جاء به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، لأن من نصبه تعالى حجة على عباده يكون مرشدا لا يحتاج إلى إرشاد وهاديا إلى الصراط المستقيم وعاصما للأمة على الدين القويم فاتّباعه واجب مفروض لأنه يهدي بأمر الله، وقد أخبر الكتاب العزيز الرد إليه وقرن هذا الرد بالرد إلى الرسول صلى الله عليه وآله كما جاء في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾(١)

وبخلافه يأتي بالبدع والجديد الذي ما أنزل الله به من سلطان، وبذلك تتفرق الأمة إلى طوائف ومذاهب متعذرة بالاجتهاد واستحسان الرأي وغيرها من الأمور، كما تفرقت الأديان التي سبقت الإسلام، وإن الأمة إذا ابتعدت عما أوصاهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فإنهم سيكونون مثل الأمم السابقة فقال: (إن أمة موسى افترقت بعده على إحدى

(١) - سورة النساء / ٨٣

وسبعين فرقة – فرقة منها ناجية وسبعون في النار – وافترقت أمة عيسى بعده على اثنتين وسبعين فرقة – فرقة منها ناجية وإحدى وسبعون في النار – وإن أمتي ستفترق بعدي على ثلاث و سبعين فرقة – فرقة منها ناجية واثنتان وسبعون في النار)[1]، ويقينا أن الفرقة الناجية هي التي تلتزم بوصايا الرسول صلى الله عليه وآله لأنه لا ينطق عن الهوى، وإن علمه من الله تعالى، والزهراء عليها السلام صرحت أن المتمسك بأهل البيت هو الناجي والفائز ثم انه لا يوجد في الأمة من له الصفات التي تؤهله لقيادة الأمة غير نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وأخيه ووصيه وصاحب سره علي بن أبي طالب عليه السلام المنصوص عليه، فمن عرف ذلك وجبت عليه طاعته فإن طاعته نظاما للأمة، وذلك لأن الإمام القيم والدليل على كل شيء، قال الإمام الباقر عليه السلام: (ذروة الأمر وسنامه ومفتاحه وباب الأشياء ورضاء الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله عز وجل يقول: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2] أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من

(١) - انظر تفسير الميزان / السيد الطباطبائي / ج ٣ ص ٣٧٩
(٢) - النساء/ الآية ٨٠

أهل الإيمان)[1]، وبالإمامة تجتمع الأمة ويستقيم النظام وكما قال علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض خطبه: (ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرق وذهب)[2].

وعلى كل حال فإن مقام الخلافة والإمامة وقيادة الأمة مقام خطير وإن الإسلام يريد نظام المسلمين ووحدتهم وحفظ النظام من أهم الواجبات والتفرقة والتشتت والاختلاف من أبغض الأشياء إلى الله تعالى، ولا يتم حفظ هذا النظام إلا بالحاكم الذي تجتمع عليه الأمة وأفضلهم المعين لهذا المقام بالنص من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، وبذلك تحفظ الأمة نظامها وتراصّها واتجاهها نحو مراضي الله تعالى وعند ذلك تفتح عليهم أقطار السموات والأرض وتعم البركات، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3]

وبخلافه يحدث العكس، وهذا ما أشارت إليه السيدة الزهراء عليها السلام في

(١) - مناهج الأحكام / الميرزا القمي / ص ٦٤٦
(٢) - نهج البلاغة / خطب الإمام علي عليه السلام / ج ٢ص ٢٩
(٣) - سورة الأعراف / الآية ٩٦

قراءة المستقبل بعد أن نظرت بثاقب بصرها الذي يحدث في الواقع المرير الذي تعيشه الأمة وتعاني منه.

تسبيح الزهراء عليها السلام

تركت الزهراء عليها السلام من الأعمال التي لها الفضل الكبير على الأمة ومنها التسبيح الذي سمّي باسمها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يهتم بشؤون الأمة وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتحف أهل بيته عليهم السلام ويخصهم بتعليم بعض الأدعية و العبادات كما يتحف الملك و السلاطين ذويهم بالمال والولايات... ولعل السبب الذي من أجله كان يخصهم صلى الله عليه وآله بمثل هذه الأمور هو أهليتهم لها.. فالهدية يجب أن تكون مناسبة للمهدي إليه.. فقد علم ابنته فاطمة عليها السلام التسبيح الذي يعرف باسمها، وللائمة عليهم السلام عناية كبيرة بهذا التسبيح وهو المقدم عندهم في التعقيب بعد كل فريضة بل وحتى بعد الصلاة المستحبة، وكيفيتها هو التكبير أربعا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين.. (روي ابن سنان عن الإمام الصادق عليه السلام من سبح تسبيح فاطمة عليها السلام قبل أن يثني رجليه من صلاة الفريضة غفر الله له، ويبدأ بالتكبير).

وعن أبي هارون المكفوف عنه عليه السلام: (إنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة عليها السلام كما نأمرهم بالصلاة، فألزمه فإنه لم يلزمه عبد فشقي، وعن صالح بن عقبة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: (ما عبد الله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة عليها السلام، ولو كان شئ أفضل منه لنحله رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام)، وعن أبي خالد القماط سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (تسبيح فاطمة عليها السلام في كل يوم دبر كل صلاة، أحبّ إليّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم).

وأخيرا..

أخبرت سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام عن الأحداث التي ستمر بها الأمة لعدم التزامها بالنظام والقواعد التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك ابتعادهم عن وصاياه للأمة وأقواله ومنها التمسك بالثقلين ولا يُفرق بينهما، وفي ذلك الفلاح والصلاح، والراحة والاطمئنان، عن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له بعد البيعة له بالأمر قال: (نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسوله الأقربون ، وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته، والثاني كتاب الله، فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعوّل علينا في تفسيره، لا نتظنى تأويله، بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة، إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[1]، (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)[2] وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان، فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا أولياؤه الذين قال لهم:

(١) - سورة النساء /٥٩

(٢) - سورة النساء / الآية ٨٣

(لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ)[1] فتلقون إلى الرماح وزرا، وإلى السيوف جزرا، وللعمد حطما، وللسهام غرضا، ثم (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)[2][3].

وما يحدث للأمة هذا اليوم ما هو إلا نتيجة الابتعاد عن منهج النبي الأكرم وأهل بيته وعدم التمسك بما جاء به الإسلام ونطق به رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وأوصياؤه من بعده، فكثرت إساءة الكفرة والمردة وعبدة الشيطان للإسلام ورموز الإسلام ومنها التمادي على شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

(١) - سورة الأنفال / الآية ٤٨
(٢) - سورة الأعراف / ١٥٨
(٣) - الأمالي / الشيخ الطوسي / ص ٦٩١ - ٦٩٢

الفهرس

المقدمة ٣

دور المرأة ونشاطها الاجتماعي والسياسي ٧

الدور الرائد للزهراء عليها السلام في تبني المشروع الإصلاحي ١١

أهداف الخطبة ١٤

قبس من الخطبة الفدكية ١٦

صفات الوالي ٢١

إمامتنا أماناً للفرقة ٢٣

تسبيح الزهراء عليها السلام ٢٦

وأخيراً ٢٨

فاطمة الزهراء

السلام عليكِ أيتها الصديقة الشهيدة

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

زورونا www.aljawadain.org

راسلونا fikriya@aljawadain.org